عَبْد اللهِ بْن شُبْرُمَة

أعـــلام القضـــاء

عبد الله بن شبرمة

الإمام العلامة، فقيه العراق أبو شبرمة. قاضي الكوفة عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر من بني بكر بن سعد بن ضبة. شاعر، وفقيه.

ولد في أواخر عهد معاوية، ونشأ على حفظ القرآن ورواية السنة.

عَن مغيرة قَالَ: كان ابن شُبْرُمَةَ لي صديقاً فلما ولي القضاء قَالَ: لا تكلمني في شيء من أمر القضاء.

تولى قضاء الكوفة زمن يوسف بن عمر أحد ولاة أبي جعفر المنصور [1].

لما ولي القضاء دخل المسجد فصلي أربع ركعات قبل أن يجلس ثم سلم وقَالَ: اللهم إن هَذَا المجلس كنت أشتهيه وأتمناه عليك اللهم فكما ابتليتني به فسلمني منه وأعني عليه ثم بكى حتى بل بدموعه خرقة كانت في يده.

حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة.

(١) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٢ / ٦٦٦.

وحدث عنه: الثوري، والحسن بن صالح، وابن المبارك، وهشيم، وعبد الواحد بن زياد، وسفيان بن عيينة، وعبد الوارث بن سعيد، وأحمد بن بشير، ووهيب بن خالد، وشعيب بن صفوان، وخلق سواهم.

وثقه أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، وغيرهما. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

وقد أثني عليه معاصروه من المحدثين والفقهاء وأرباب العلوم فقد قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ابن شبرمة عفيفا صارما، عاقلا، خيرا، يشبه النساك. وكان شاعرا، كريما، جوادا. له نحو من خمسين حديثا.

وروى ابن فضيل، عن ابن شبرمة قال: كنت إذا اجتمعت أنا والحارث العكلي على مسألة لم نبال من خالفنا.

وقال فضيل بن غزوان: كنا نجلس أنا وابن شبرمة، والحارث بن يزيد العكلي، والمغيرة، والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء بالفجر.

وقال عبد الوارث: ما رأيت أحدا أسرع جوابا من ابن شبرمة.

وقال معمر: رأيت ابن شبرمة إذا قال له الرجل: جعلت فداك، يغضب، ويقول: قل: غفر الله لك[1].

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٠/٦، التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٣٤٩ الجرح والتعديل ٥/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٧٥، تاريخ الإسلام ٨٨/٦، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٥٠/٥، ٢٥١. تقريب التهذيب (٣٣٨٠)، وقال: شبرمة بضم المعجمة وسكون الموحدة وضم الراء.

مواقف من حياته - رحمه الله -:

فاكفني شر عواقبه

لما ولي عبد الله بن شبرمة القضاء قال: اللهم إنك تعلم أني لم أجلس هذا المجلس لأني أحبه وأشتهيه، فاكفني شر عواقبه [1].

قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي

قال أحمد العجلي: كان والي الكوفة عيسى بن موسى لا يقطع أمرا دون ابن شبرمة. قال: فبعث أبو جعفر المنصور إلى عيسى بعمه عبد الله بن علي ليحبسه، ثم كتب إليه أن اقتله، فإنه.. وإنه.. فاستشار ابن شبرمة، فقال له: لم يرد المنصور غيرك؟! وكان عيسى ولي العهد. فقال: ما ترى؟ قال: احبسه واكتب إليه أنك قتلته. ففعل. فجاء أخوه عبد الله إلى عيسى فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن اقتله، فقد قتلته، فرجعوا إلى أبي جعفر فقال: كذب، لأقيدنه به. فارتفعوا إلى القاضي. فلما حققوا على عيسى أخرجه إليهم. فقال أبو جعفر: قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي - يريد ابن شبرمة - فإن عيسى لا يعرف هذا. قال: فما زال ابن شبرمة مختفيا حتى مات بخراسان. سيره إليها عيسى بن موسى.

روى ابن فضيل عن أبيه، قال: كان ابن شبرمة، ومغيرة، والحارث العكلي يسهرون في الفقه، فربما لم يقوموا إلى الفجر. توفي سنة أربع وأربعين ومائة أرخه أبو نعيم والمدائني.

ما في القضاء شفاعةٌ لمخاصم

قال زهير بن حرب عن جرير: قضى ابن شبرمة بقضيةٍ، فبلغه

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

أنَّ بعض من كان بينه وبينه وحشة تكلَّم فيها، فقال ابن شبرمة:

ما في القضـــاء شـــفاعةٌ لمخاصـــم ::: عند اللبيب ولا الفقيـــه الحـــاكم
أهون علـــيَّ إذا قضـــيت بســـنَّةٍ ::: أو بالكتاب برغم أنـــف الـــراغم
وقضيت في ما لم أجـــد أثـــراً بـــه ::: بنظـــائرٍ معروفـــةٍ ومعـــالم

والله لولا أني أصيب منك

قال ابن شبرمة: رأيت الشعبي وهو داخل المسجد يريد إلى جرير، فأعطيته يدي فقلت له: والله لولا أني أصيب منك أفضل مما تصيب مني ما أعطيتك يدي.

انظر فيها وتثبت

سئل ابن شبرمة عن مسألة فأفتى فيها فلم يصب. فقال له نوح بن دراج: انظر فيها وتثبت يا أبا شبرمة. فعرف إنه لم يصبن فقال ابن شبرمة: ردوا علي الرجل. ثم أنشأ يقول:

كادت تزل به مـــن حـــالق قـــدم ::: لولا تـــداركها نـــوح بـــن دراج

تقوّم حاملاً وتقوّم حائلاً ويغرم قدر ما بينها

عن معمر قال: لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له والي اليمن: اختر لنا رجلاً نوليه القضاء. فقال له ابن شبرمة: ما أعرفه. فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه فجاء، فقال له ابن شبرمة: هل تدري لم دعيت؟ قال: لا. قال: إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء. قال: ما أيسر القضاء! فقال له ابن شبرمة: فنسئلك عن شيء يسير منه. قال: سل. قال له ابن شبرمة: ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فألقت ما في بطنهم؟ فسكت الرجل، فقال له ابن شـــــــــــــبرمة: أنـــــــــــــا بلونـــــــــــــك فما وجدنا عندك شيئاً. فقيل له ما القضاء فيهم؟ قال ابن شبرمة: تقوّم

حاملاً وتقوّم حائلاً ويغرم قدر ما بينهما.

فأما الحرام فلا سبيل إليه

- عن معمر قال: لما عزلوه شيعته - يعني ابن شبرمة - وكان ولي القضاء. قال: فلما انصرف الناس وأفردني وإياه المسير ولم يكن معنا أحد نظر إلي فقال: يا أبا عروة أحمد الله أما أني لم أستبدل بقميصي هذا قميصاً منذ دخلتها. قال: ثم سكت ساعة فقال لي: يا أبا عروة إنما أقول لك الحلال فأما الحرام فلا سبيل إليه.

نذر أن يطلق امرأته؟

عن ابن شبرمة قال: سئل الشعبي عن رجل نذر أن يطلق امرأته؟ فقال: ليس بشيء. قال: قال ابن شبرمة: فأتا نهيت الشعبي، فقال الشعبي: ردوا علي الرجل فقال له نذرك في عنقك إلى يوم القيامة.

إن كان يقوله فقد جن

حدثنا سفيان قال: ثنا ابن شبرمة قال: رأيت الشعبي وهو داخل المسجد يريد إلى جرير فأعطيته يدي قلت له: والله لولا أني أصيب منك أفضل مما تصيب مني ما أعطيتك يدي، ما تقول في قوم محرمين أشار بعضهم إلى صيد وصاد بعضهم؟ فقال: على كل واحد منهم عدلة. قال ابن شبرمة: فقلت له: فأن حماداً يقول عليهم جزاء واحد. فقام الشعبي وكنا نمشي فقال: بالله يقوله!؟ قلت: نعم. قال: إن كان يقوله فقد جن. قال: ابن شبرمة: ثم أتيت مجلساً كنا نجلسه فيه هبيرة وشباك والحارث العكلي ولم يكن أحد من أصحابي أشد علي خلافاً منه، وأخبرته بما قال الشعبي وبما قال حماد. فقال: القول ما قال حماد عليهم جزاء واحد، ألا ترى أن قوماً لو قتلوا رجلاً خطأ لم يكن عليهم إلا دية واحدة. فقلت أنا: بل القول ما قال الشعبي على كل واحد منهم جزاء، ألا ترى أن قوماً لو قتلوا رجلاً خطأ

كان على كل واحد منهم كفارة عتق رقبة. قال ابن شبرمة: فقاس الشعبي على الكفارة وقاس حماد والحارث على الدية.

وأنت أيضاً ممن ينظر ولا تغير!.

- عن عمار الدهني قال: مررت على ماهان الحنفي [1] حين صلب والناس ينظرون إليه، قال: فقال لي: يا عمار وأنت أيضاً ممن ينظر ولا تغير! [2].

من قضاء ابن شبرمة

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً فسألهم: كم في القراح من نخلة؟ قالوا: لا نعلم. فردّ شهم دتهم. فقال له رجل منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا: كم فيه من أسطوانة؟ فأجازهم.

سحابة صيف عن قريب تقشّع

ومر طارقٌ صاحب شرطةٌ خالد القسري بابن شبرمة، وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة:

أراهم وإن كانت تحبّ كأنهم ::: سحابة صيف عن قريب تقشّع

اللهم لي ديني ولهم دنياهم. فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء، فقال له ابنه: أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت؟ فقال: يا بني، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك. إن أباك أكل من حلوانهم وحط في أهوانهم [3].

---

(١) صلبه الحجاج بن يوسف الثقفي وأمر بطعنه وهو يسيح.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفى: ٣٤٧هـ)، المعرفة والتاريخ، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢ / ٣٤٨.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ / ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٢٩.

وقد كانت مع أمير المؤمنين

قال جبلة بن محمد بن جبلة: لما دخل أبو مسلم الكوفة أمر أن يكون إلى جانبه رجل تعرفه الناس، فجاءوه برجل فلقيه عبد الله بن شبرمة الضبي، فسلم عليه ودعا له فأقبل عليه لجلالته وفصاحته، فقال له الرجل هذا ابن شبرمة الضبي، قال فزوى وجهه عنه ففطن ابن شبرمة لذلك، وقال قلت في نفسي ذكر والله يوم الجمل، فقلت أيها الأمير إني من ضبة الكوفة ولست من ضبة البصرة، وقد كانت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمل تقاتل ضبة البصرة، قال فأقبل عليَّ وقال كن معنا فسايرته إلى أن نزل وأمرني فنزلت، فدخلت معه بيتاً فيه سيف ومصحف، فقال يا بن شبرمة إن هذا يريد المصحف يأمرني بهذا يريد السيف فقلت قد علم الأمير أن هذا ينهاه عن هذا إلا في حقه، قال صدقت، ثم كتب كتاباً إلى عبد الله بن علي يحضه فيه على صلة الرحم وجمع الألفة والبيعة لابن أخيه المنصور، ويرغبه ويرهبه، فلما فرغ منه قال لي انظر فيه فنظرت فإذا هو لم يبق غاية، فقال زد فيه شيئاً يا ابن شبرمة، قال فلم أر للزيادة وجهاً إلا أن يكون شعراً فقلت:

قُلْ لأخِي مُكاشَرَةٍ وَضِغْنٍ ::: سَعَرْتَ الْحَربَ بَيْنَ بَنِي أبيكا
فَأَوْرَثْتَ الضَّغائِنَ مِنْ بَنِيهِمْ ::: بَنِي أَبْنائِهِمْ وَبَنِي بَنِيكا
وَلَوْ طاوَعْتَنِي وَقَبِلْتَ رَأْيِي ::: لَسُرْتَ لَهُمْ بِسِيرَةِ أَوَّلِيكا
وَأَقْرَرْتَ الخِلافَةَ حَيْثُ حَلَّتْ ::: وَلَمْ تَعْرِضْ لِمُلْكَ بَنِي أَخِيكا
كَأَنَّكَ قَدْ أصابَكَ سَهْمُ غَرْبٍ ::: وَغادَرَكَ الْعُداةُ وَأَسْلَمُوكا

فقرأه فاستحسنه، وأنفذ الكتاب، فعاد الجواب من عبد الله ابن علي:

ذَرِينِي وما جَرَّتْ عَلَى يَدَ الدَّهْرِ ::: فَما يَصْعُبُ الأَمْرُ الْمَهولُ عَلَى حُرِّ

يَرَى المَوْتَ لا يَنْحاشُ عَنْهُ تُكَرُّماً ::: وَصَبْراً وإنْ كانَ القِيامُ علَى الْجَمْرِ
حِفاظاً لِما قَدْ وَرَّثَتْنا جُدُودُنا ::: وَصَبْراً وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
بِذَلِكَ أَوْصانَا الْكِرامُ وَلَمْ نَزَلْ عَلَى ::: تِلْكَ نَمْضِي لا نَضِجُّ مِنَ الدَّهْرِ

إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام

قال عبد الرحمن الأوزاعي: بعث إلى عبد الله بن علي وأعظمني ذلك واشتد علي فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سماطين بين يديه في أيديهم المكافر كوبات فأدناني ثم قال لي يا عبد الرحمن ما تقول في مخرجنا هذا؟ فقلت أصلح الله الأمير قد كانت بيني وبين أخيك داود مودة فأعفني، قال لتخبرني، فقلت لأصدقنه واستبسلت للموت، فقلت حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة ابن وقاص سمع عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيا يُصِيبُها أو امْرَأَةٍ يَنْكِحُها فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هاجَرَ إِلَيْهِ» قال وفي يده قضيب ينكث به الأرض، فقال يا عبد الرحمن ما تقول في قتلنا أهل هذا البيت من بني أمية؟ فقلت كما قلت قال لتخبرني فقلت حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشِّخِّيرِ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ قَتْلُ الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ الْبارِئُ لِدِينِه أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْساً فَيُقْتَلُ بِها أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصانٍ» قال ثم أطرق هوياً، ثم قال أخبرني عن الخلافة أهي وصية من رسول الله ﷺ فورد على مثل ما ورد ثم قلت لأصدقنه. فقلت لو كانت وصية من النبي ﷺ لكم ما ترك علي عليه السلام أحداً يتقدمه، ثم سكت سكتة وقال ما تقول في أموال بني أمية؟ فاستعفيت فقال لتخبرني فقلت إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام، وإن كانت لهم حراماً فهي عليكم حرام، قال ثم أمرني فأخرجت.

له أذنين مشقوقتين

كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي فقال عيسى للرجل من يعرفك قال ابن شبرمة قال أتعرفه قال إني لا أعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك فقال اعلم أن له أذنين مشقوقتين وأن له بيتاً يأوي إليه وأن له قدماً يطأ بها[1].

سنَّوران في البيت فاستر عليّ

قال المدائني: سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثئت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائداً له ومادحاً، وكان جاره فأنشده:

أقـــول غـــداة أتانـــا الخـــبير ::: ود سَّ أحاديثـــــه هينمـــــه
لك الويل من مخبرٍ مـــا تقـــول؟ ::: أبـــن لي وعـــدٌ عـــن الجمجمـــه
فقال خرجـــت وقاضـــي القضـــا ::: ة منفكّـــــةٌ رجلـــــه مؤلمـــــه
فقلت وضـــاقت علـــيَّ الـــبلاد ::: وخفـــــت المجلّلـــــة المعظمـــــه
فغـــزوان حـــرٌّ وأمُّ الوليـــد ::: إن الله عـــافى أبـــا شـــبرمه
جـــزاءً لمعروفـــه عنـــدنا ::: ومـــا عتـــق عبـــدٍ لـــه أو أمـــه

قال: وفي المجلس جارٌ ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: ياأبا معمر! رحمك الله من غزوان وأمّ الوليد؟ قال: سنَّوران في البيت فاستر عليّ[2].

أنا وأنْتَ لا نتفق

وكان أبو وائلة إياس بن معاوية - على تقدمه في البلاغة، وفضْلِ

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ١٠٣.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/ ٥٥، ١/ ١٩١.

عقله وعلمه - بالإكثار مَعِيباً، وإلى التطويل مَنْسوباً، وقال له عبد الله بن شبرمة: أنا وأنتَ لا نتفق، أنتَ لا تشتهي أن تسكت، وأنا لا أشتهي أن أسْمَع. وقيل له: ما فيك عيبٌ إلاّ كَثْرة كلامك. قال: أفتسمعون صواباً أم خطأ؟ قالوا: بل صواباً، قال: فالزيادةُ في الخير خير[1].

فلا خير في المعروف إذا أحصى

- قال له رجل: صنعتَ إلى فُلان، وصنعت، فقال: اسكت، فلا خير في المعروف إذا أحصى. وكان إذا وُلِدَ له غلام يقول: اللهم اجعله بّي برا، واجعل لذَّته في بلدِه[2].

ما هو إلا الهلاك أو الرحمة

قال عبد الله بن شبرمة القاضي: دخلت على أبي مسلم الخراساني وفي حجره مصحف، وبين يديه سيف، فقال لي: أنت ابن شبرمة؟ قلت: نعم أصلحك الله؛ فقال: ما هو إلا الملك أو الترهب، قلت: ما هو إلا الهلاك أو الرحمة[3].

إني كنت لأكره أن أراك أميراً

قال ابن شُبْرُمَةَ، عَن بعض أصحابه: بينما معاوية في نفر من أصحابه، ومنهم الأحنف بْن قيس، إذ قَالَ: رجل: لو أن أبا سُفْيَان ولد الناس ولدهم حلماء! قَالَ: الأحنف: لكنه ولد الناس من هو عند الله خير من أبي سُفْيَان، ولدهم آدم أَبُو البشر، فكان فيهم العالم والسفيه والحليم،

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ١ / ١٥٣.

(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٥ / ٩٦.

(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣ / ١٦١.

فَقَالَ: معاوية: يا أحنف إن كنت لأكره أن أراك خطيباً، قَالَ: الأحنف: يا معاوية إني كنت لأكره أن أراك أميراً، فلم يقل له معاوية شيئاً.

مالك حَيْثُ وضعته

قال عَبْد العزيز بْن وكيع: بعت جارية إلَى أجل وأوجبتها له، فسألت عنه بعد، فقيل لي: إنه مفلس، فجاء يطلبها مني، فأبيت أن أدفعها إليها، فخاصمني إلَى شريح، فقلت: إني بعت من هَذَا جارية إلَى أجل، وإني سألت عنه فقيل لي: إنه مفلس لا شيء له، فجاء يطلبها مني. فَقَالَ: شريح: مالك حَيْثُ وضعته، فادفع إلَى الرجل جاريته، فقلت: لا أدفعها إليه لأنه مفلس، وأخاف أن يذهب مالي، قَالَ لي: قم فالزمه ما بيني وبين أن أقوم بأن دفعها إليك، وإلا فأتني به قبل أن أقوم حتى أحبسه لك.

أعلمك وتخالفني

قَالَ ابن شُبْرُمَةَ: دعانا صاحب الكوفة أنا وحماد فسألنا عَن الرجل يتزوج المرأة، ولا يقدر أن ينفق عليها، فَقَالَ: حماد: يفارقها: فقال: ما تقول؟ قلت: سبحان الله إنما قَالَ: الله:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: ٧]، لا لذي فاقة؛ فغضب حماد؛ فقام فأبطأت أنا حتى ذهب مخافة أن يعاتبني، فلما خرجت إذَا هو جالس خلف الباب، فَقَالَ لي: مغضباً: أعلمك وتخالفني؛ قلت: إني رأيت رأياً فقلته.

من امرأتك؟

عَن ابن شُبْرُمَةَ، قَالَ: دخلت على امرأة من بني عَمْرو بْن تميم، فقالت لي: من امرأتك؟ قلت: فلانة الفلانية، وعرضت بنفسها ثم أنشدت.

يرى صاحب النسوان يحسب أنهم ::: سواء وبون بينهن بعيد
فمنهن جنات يفيء ظلالها ::: ومنهن نيران لهن وقود

كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان

قال ابن شُبْرُمَةَ: دخلت أنا وأَبُوْحَنِيْفَةَ على جعفر بْن مُحَمَّد فسلمت عليه، وكنت له صديقاً ثم أقبلت على جعفر فقلت: أمتع الله بك هَذَا رجل من أهل العراق له فقه، وعقل؛ فَقَالَ: جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه، ثم أقبل علَيَّ فَقَالَ: النعمان بْن ثابت؟ فَقَالَ: بُوْحَنِيْفَةَ: نعم، أصلحك الله!فقال: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم؛ فقال:{أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: ١٢]، ثم قَالَ: له جعفر: هَلْ تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا؛ قال: فأَخْبَرَني عَن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة في الشفتين، لأي شيء جعل ذلك؟

قال: لا أدري.

قَالَ: جعفر: الله عز وجل خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيها ضناً منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا، فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين ضناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب، فأكلت دماغه، وجعل الماء في المنخرين ليصمد التنفس، وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم طعم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قَالَ: له جعفر: أَخْبَرَنِي عَن كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان.

قَالَ: لا أدري؟

قَالَ: لا إله إلا الله،

ثم قَالَ لَهُ: أيما أعظم عند الله قتل النفس أو الزنا؟

قال: لا، قتل النفس

قَالَ: له جعفر: إن الله عز وجل قد رضي في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلا بأربعة.

ثم قال: أيما أعظم عند الله الصوم أم الصلاة؟

قال: لا بل الصلاة؛ قال: فما بال

المرأة إذَا حاضت تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة، اتق الله يا عَبْد اللهِ إنا نقف نحن وأنت غداً ومن خالفنا بين يدي الله جل وعز، فنقول: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ عليه السلام: ويقول أنت وأصحابك: قَالَ: سمعنا ورأينا، ففعل بنا وبكم ما يشاء [1].

من كلامه – رحمه الله –:

- من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها خصم.

- ولا يطيق الحق من بالى على من دار الأمر.

- عجبت للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار [2].

- نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف [3].

ومن شعره – رحمه الله –:

– رأيت فقه رجال في قلانسهم ::: وفي ثيابهم الفحشاء والريب [4]

(١) أخبار القضاة، ٣/٧٩.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.
(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/ ٥٥، ١/ ١٩١.
(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

– ما في القضاء شفعة لمخاصم ::: عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون عليّ إذا قضيت بسنة ::: أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثراً به ::: بنظائر معروفة ومعالم
– اقض بما في كتاب الله مفترضاً ::: وبالنظائر فاقض والمقاييس
– وقل لأخي مكاشرة وضغن ::: سعرت الحرب بين بني أبيكا
وأورثت الضغائن من بنيهم ::: بني أبنائهم وبني بنيكا
فلو شاورتني وقبلت رأيي ::: لسرت لهم بسيرة أوليكا
وأقررت الملامة حَيْثُ حلت ::: ولم تعرض للملك بني أبيكا
كأنك قد أصابك سهم غرب ::: وأسلمك العداة من أبعديكا
– لو شئت كنت ككور في تعبُّده ::: أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ::: وسارعا في طلاب الفوز والكرم
– ليوشك أن يحول الموت بيني ::: وبين جوار بيتك والطواف
فكم من طائف رث رغيباً ::: رهيباً بين منتعل وحاف
أتاك الراغبون إليك سعياً ::: يسوقون المقلدة الصواف
– إذا قلت جدوا في العبادة واصبروا ::: أصروا وقالوا للخصومة أفضل
خلافاً لأصحاب النبي وبدعة ::: وهم بسبيل الحق أعمى وأجهل
– فيا ليت شعري من يبين بعد ما ::: يمكن لي في حفرة اللحد مضجع
وعن وصل إخوان أتى الموت دونهم ::: أيرعون ذاك الوصل أو ينقطع
فما وصل الإخوان مثل محافظ ::: من القوم مرعى الأمانة مقنع
– لا يخذل المولى لأول عثرة ::: عسى في اختبال السن أن يتحكما
فيذهب عنه الجهل أو يستعيده ::: لعريض قوم مثله أن يحتما
– توفيت في الإحسان جهدي وطاقتي ::: إلَى ابن أبي ليلى فأعقبني ذما
فوالله ما آسى على ما فعلته ::: ولكن عجز الرأي يحدث لي هما
– إذا قضيت بمر الحق مجتهداً ::: أهون علي بما قَالَ: الضغابيس
– أقضي بما في كتاب الله مجتهداً ::: وبالنظائر أقضي والمقاييس
إذا قضيت بمر الحق مجتهداً ::: فلست أجهل أقوال الضغابيس[1]

* * *

(١) أخبار القضاة، ٣/٧٩.